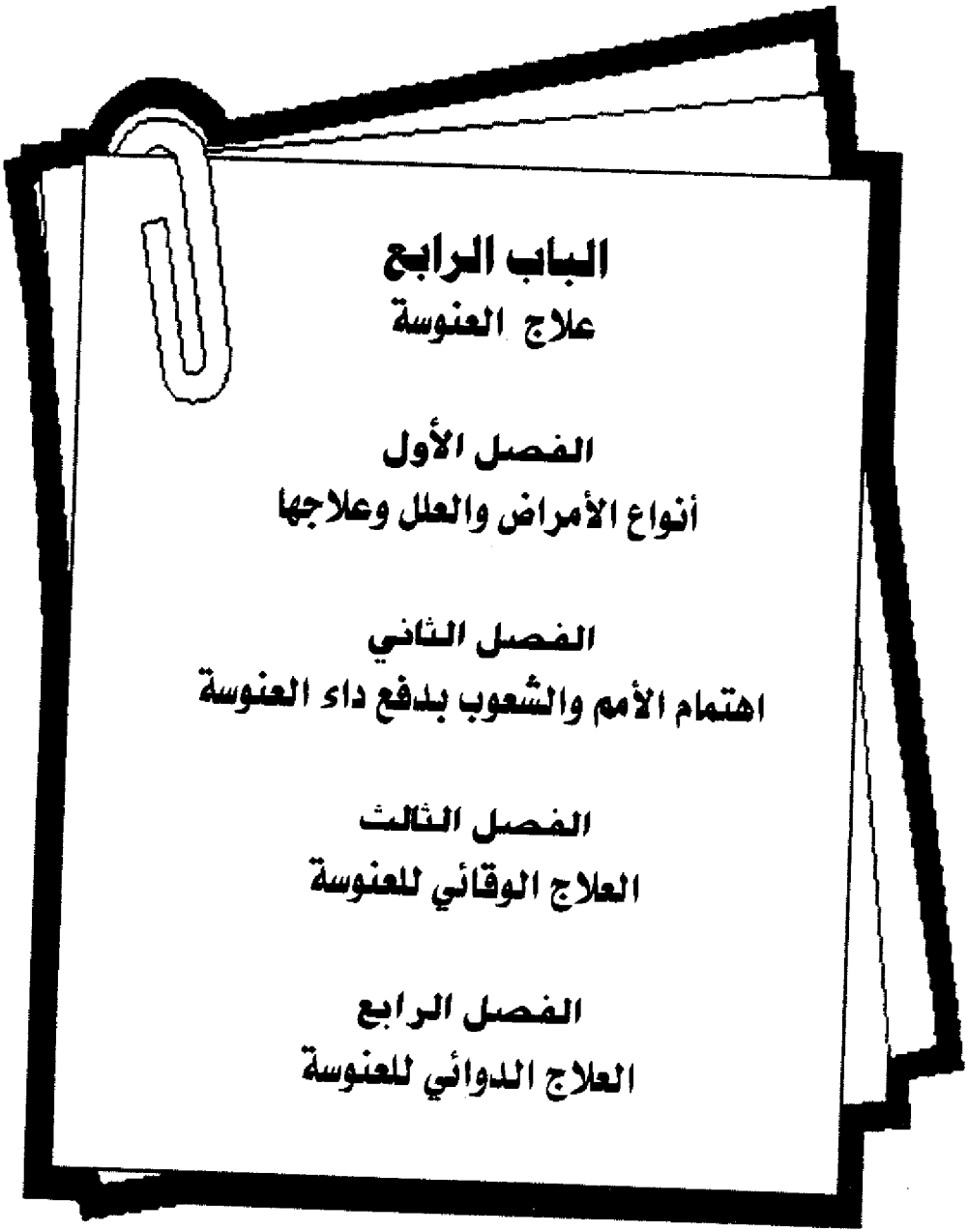

الباب الرابع
علاج العنوسة

الفصل الأول
أنواع الأمراض والعلل وعلاجها

الفصل الثاني
اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء العنوسة

الفصل الثالث
العلاج الوقائي للعنوسة

الفصل الرابع
العلاج الدوائي للعنوسة

الفصل الأول

أنواع الأمراض وعلاجها

المبحث الأول

أنواع الأمراض

- مرض في الجسم
- مرض في القلب:

أ - الكفر والشرك والنفاق

ب - حب الزنا والفواحش والفجور

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

١- القرآن الكريم

٢- الرقى والأدعية الشرعية

٣- تناول الأدوية والعقاقير الطبية التي لا تحوي محرما

٤- الصدقة

٥- تناول الحبة السوداء

٦- شرب ماء زمزم

٧- الحجامة

٨- تناول العسل

٩- الكي بالنار

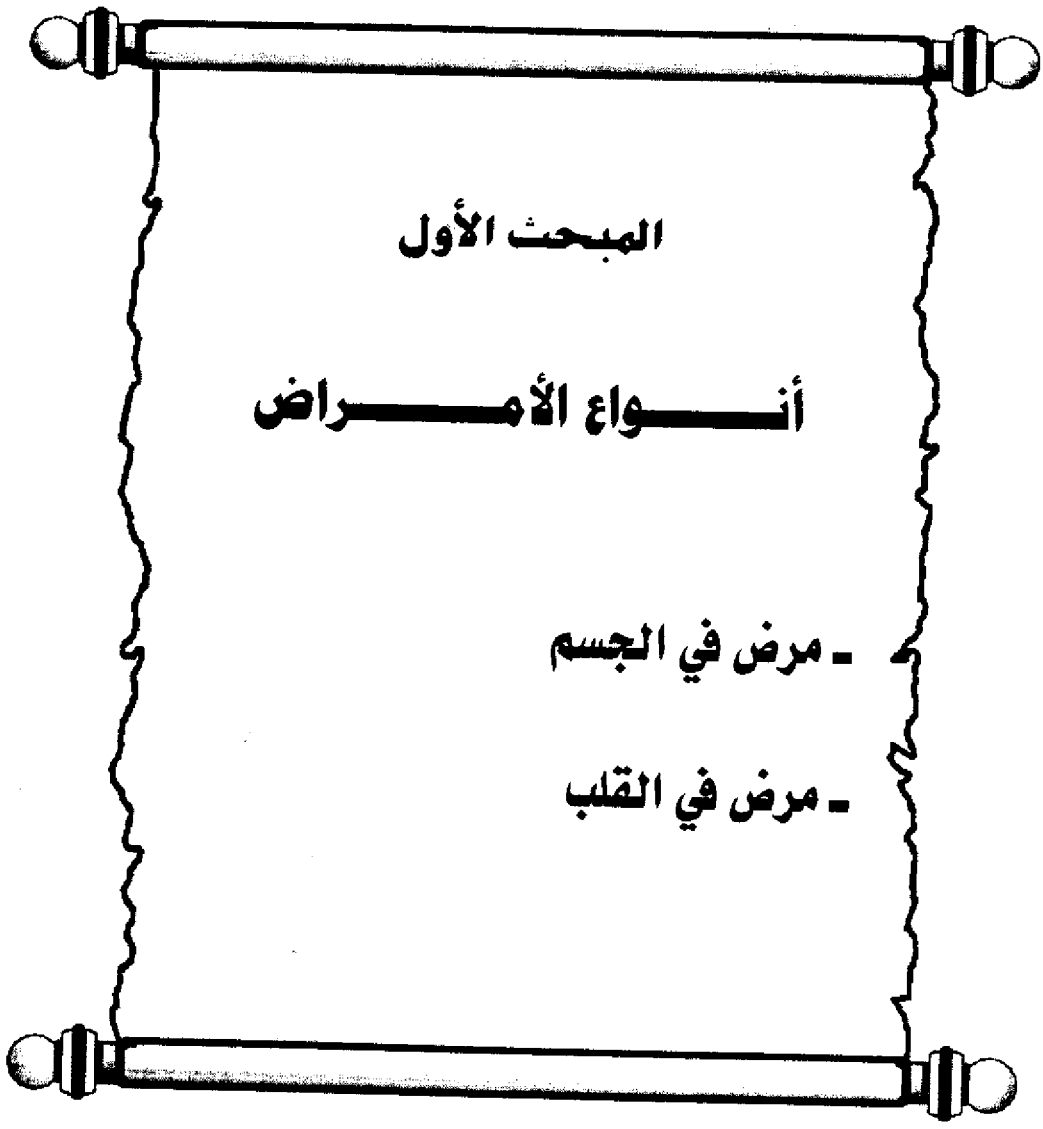

المبحث الأول

أنـــــواع الأمـــــراض

- مرض في الجسم
- مرض في القلب

المبحث الأول

أنواع الأمراض

المرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص.[١] والداء هو علة تحصل بغلبة بعض الأخلاط على بعض. [٢] ومادة مرض ومشتقاتها مذكورة في القرآن في أربعة وعشرين موضعا والأمراض والأدواء التي تصيب الإنسان لها علاج مهما استعصت وطالت مدتها ، والمعالجون للأمراض هم الأطباء واختيار الطبيب الحاذق جزء كبير من العلاج : والطِّبُّ: علاجُ الجسم والنَّفس. وأَصلُ الطِّبِّ : الحِذْق بالأَشياء والمهارةُ بها؛ يقال: رجل طَبٌّ وطَبِيبٌ إِذا كان كذلك، وإِن كان في غير علاج المرض؛ قال عنترة:

إِن تُغْدِفِي دوني القِناعَ، فإِنَّني طَبٌّ بأَخْذِ الفارِسِ المُسْتَلْئِم

وقال علقمة:

فإِن تَسْأَلوني بالنساءِ، فإِنَّني بَصيرٌ بأَدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ[٣]

والبشر يكتشفون كل يوم دواء لمرض من الأمراض ويخفقون في آخر: عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ. [٤]

---

[١] التعريفات للجرجاني ص٢٦٨

[٢] التعريفات للجرجاني ص١٣٨

[٣] لسان العرب لابن منظور : مادة طبب

[٤] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود ، حديث رقم : ٣٧٢٧

وعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. [١]

قال النووي رحمه الله تعالى: هذا فيه بيان واضح، لأنه قد علم أن الأطباء يقولون: المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه، وحفظ الصحة بقاؤه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض، وبقراط يقول: الأشياء تداوى بأضدادها، ولكن قد يدق ويغمض حقيقة المرض، وحقيقة طبع الدواء، فيقل الثقة بالمضادة، ومن هاهنا يقع الخطأ من الطبيب فقط، فقد يظن العلة عن مادة حارة فيكون عن غير مادة، أو عن مادة باردة أو عن مادة حارة دون الحرارة التي ظنها، فلا يحصل الشفاء، فكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بآخر كلامه على ما قد يعارض به أوله، فيقال قلت: لكل داء دواء، ونحن نجد كثيرين من المرضى يداوون فلا يبرءون، فقال: إنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة، لا لفقد الدواء، وهذا واضح. [٢]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ قَالَتْ الْأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى قَالَ نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ. [٣]

---

[١] صحيح مسلم، كتاب السلام: بَاب لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، حديث رقم: ٤٠٤٨

[٢] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٩ ص ٥٩٢٣ــ ٥٩٢٦

[٣] سنن الترمذي: كتاب: الطب عن رسول الله، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث رقم: ١٩٦١

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً.[1]

قال ابن حجر: وفي حديث جابر منها الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله ، وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع ، بل ربما أحدث داء آخر . وفي حديث ابن مسعود الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره ، وأنها لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها ، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك ، وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر " بإذن الله " فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته . والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب ، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك.ويدخل في عمومها أيضا الداء القاتل الذي اعترف حذاق الأطباء بأن لا دواء له ، وأقروا بالعجز عن مداواته، ولعل الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله " وجهله من جهله " إلى ذلك فتكون باقية على عمومها ، ويحتمل أن يكون في الخبر حذف تقديره: لم ينزل داء يقبل الدواء إلا أنزل له شفاء ، والأول أولى . ومما يدخل في قوله " جهله من جهله " ما يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع ، والسبب في ذلك الجهل بصفة من

قال الخطابي: جعل الهرم داء وإنما هو ضعف الكبر، وليس هو من الأدواء التي هي أسقام عارضة للأبدان، من قبل اختلاف الطبائع وتغير الأمزجة، وإنما شبهه بالداء لأنه جالب التلف والأدواء التي قد يتعقبها الموت والهلاك.[تحفة الأحوذي ج ٦ ص ١٦٠]

[1] صحيح البخاري، كتاب: الطب، بَاب: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، حديث رقم: ٥٢٩٢

صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا ، وقد يكون متحدا لكن يريد الله أن لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الأطباء ، وقد أخرج ابن ماجة من طريق أبي خزامة وهو بمعجمة وزاي خفيفة " عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله تعالى " والحاصل أن حصول الشفاء بالدواء إنما هو كدفع الجوع بالأكل والعطش بالشرب ، وهو ينجع في ذلك في الغالب . وقد يتخلف لمانع.

واستثناء الموت في حديث أسامة بن شريك واضح ، ولعل التقدير إلا داء الموت ، أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت . واستثناء الهرم في الرواية الأخرى إما لأنه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة ، أو لقربه من الموت وإفضائه إليه . ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا والتقدير: لكن الهرم لا دواء له.[1]

والأمراض والأدواء التي تصيب الإنسان تنحصر في نوعين، هما في القلب وفي البدن، قال ابن حجر: الطب بكسر المهملة وحكى ابن السيد تثليثها.والطبيب هو الحاذق بالطب، ويقال له أيضا طب بالفتح والكسر ومستطب وامرأة طب بالفتح، يقال استطب تعاطى الطب واستطب استوصفه، ونقل أهل اللغة أن الطب بالكسر يقال بالاشتراك للمداوى وللتداوي وللداء أيضا فهو من الأضداد. ويقال أيضا للرفق والسحر، ويقال للشهوة ولطرائق ترى في شعاع الشمس وللحذق بالشيء، والطبيب الحاذق في كل شيء، وخص به المعالج عرفا، والجمع في القلة أطبة وفي الكثرة أطباء.

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٦٧

والطب نوعان: طب جسد، وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه سبحانه وتعالى.

وأما طب الجسد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره، وغالبه راجع إلى التجربة.

ثم هو نوعان: نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات، مثل ما يدفع الجوع والعطش.

ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال، وهو إما إلى حرارة أو برودة، وكل منهما إما إلى رطوبة، أو يبوسة، أو إلى ما يتركب منهما.

وغالب ما يقاوم الواحد منهما بضده، والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو أعسرهما.

والطريق إلى معرفته بتحقق السبب والعلامة، فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه أو عكسه، وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه، ومدار ذلك على ثلاثة أشياء: حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة.

وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن: فالأول من قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[1] وذلك أن السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر إبقاء على الجسد.

---

[1] سورة البقرة آية ١٨٤

وكذا القول في المرض الثاني وهو الحمية من قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [١] فإنه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد.

والثالث من قوله تعالى ﴿ أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ﴾ [٢] فإنه أشير بذلك إلى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الأذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس. [٣]

ونلخص السابق في الآتي:

١ ـ مرض في الجسم :

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٤)

٢ـ مرض في القلب :

وهو نوعان أيضا:

---

[١] سورة النساء آية ٢٩

[٢] سورة البقرة آية ١٩٦

[٣] فتح الباري، ج ١٠ ص ١٣٤

[٤] سورة البقرة آية ١٨٣ ــ ١٨٤

أ ـ الكفر والشرك والنفاق :

قال الله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [١] وهذا المرض علاجه بالإيمان بالله تعالى.

ب ـ حب الزنا والفواحش والفجور:

قال الله تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [٢]

قال ابن كثير: هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي دغل ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. [٣]

---

[١] سورة البقرة آية ١٠

[٢] سورة الأحزاب آية ٣٢

[٣] تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، ج ٣ ص ٦٦٢

قال القرطبي : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أي لا تلن القول. أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا. ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قيل: تشوف الفجور، وهو الفسق والغزل. ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ قال ابن عباس: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول، من غير رفع صوت، فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام. وعلى الجملة فالقول المعروف: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.[1]

قال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني عن قوله ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قال: الفجور والزنا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت الأعشى وهو يقول:

حافظ للفرج راض بالتقى ليس ممن قلبه فيه مرض[2]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٧ ج ١٤ ص ١٧٧ ــ ١٧٨

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٣٧٣ / أضواء البيان ج ٥ ص ٧٣٤ ــ ٧٣٥ ولم أجده في ديوان الأعشى

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

١ـ القرآن الكريم

٢ـ الرقى والأدعية الشرعية

٣ـ تناول الأدوية والعقاقير التي لا تحوي محرما

٤ـ الصدقة

٥ـ تناول الحبة السوداء

٦ـ شرب ماء زمزم

٧ـ الحجامة

٨ـ تناول العسل

٩ـ الكي بالنار

المبحث الثاني

أنواع العلاج الذي يتعالج به الإنسان

أصول العلاج البدني ثلاثة، العسل والحجامة والكي بالنار، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ شَرْبَةِ عَسَلٍ وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ. [1]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : (عن ابن عباس قال : الشفاء في ثلاث) كذا أورده موقوفا ، لكن آخره يشعر بأنه مرفوع لقوله " وأنهى أمتي عن الكي " قال الخطابي انتظم هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس ، وذلك أن الحجم يستفرغ الدم وهو أعظم الأخلاط ، والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم ، وأما العسل فهو مسهل للأخلاط البلغمية ، ويدخل في المعجونات ليحفظ على تلك الأدوية قواها ويخرجها من البدن ، وأما الكي فإنما يستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به ، ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه ، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم ، ولهذا كانت العرب تقول في أمثالها " آخر الدواء الكي " ، وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وغيره ، واكتوى غير واحد من الصحابة.

قلت : ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم الحصر في الثلاثة ، فإن الشفاء قد يكون في غيرها ، وإنما نبه بها على أصول العلاج. [2]

ويوجد عدة أنواع من العلاج يتعالج بها الناس وإليك بعضها :

١ــ القرآن الكريم
٢ــ الرقى والأدعية الشرعية
٣ــ الكي بالنار
٤ــ الصدقة

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، حديث رقم: ٥٢٤٨

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٧٠

٥ــ تناول الحبة السوداء ٦ــ شرب ماء زمزم

٧ــ الحجامة ٨ ــ تناول العسل

٩ ــ تناول الأدوية والعقاقير التي لا تحوي محرما

ولنأخذ من السابق العلاج الذي نراه متعلقا بمرضنا الغنوسة :

١ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم كله علاج ودواء وشفاء للأمراض والأدواء والعلل بأنواعها، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [1]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [2]

---

[1] سورة فصلت آية ٤٤

[2] تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٨٣

وقال القرطبي رحمه الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع. (١)

وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي زاجر عن القواحش ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي من الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى : وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه كقوله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٣) وقوله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ..الآية ﴾ (٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٨ ج ١٥ ص ٣٦٩

(٢) سورة يونس آية ٥٧

(٣) سورة الإسراء آية ٨٢

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٤٩

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :ـ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ يعني قريشا ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ﴾ أي وعظ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن، فيه مواعظ وحكم. ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي من الشك والنفاق والخلاف، والشقاق. ﴿وَهُدًى ﴾ أي رشدا لمن اتبعه ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي نعمة ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان والكل صفات القرآن والعطف تأكيد المدح.[1]

وعَنْ عَبْد اللَّه قَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّه فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَته مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّه وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ به وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَة الرَّدِّ.[2]

وقال الله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [3]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٤ ج ٨ ص ٣٥٣

[2] سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث رقم: ٣١٨١

[3] سورة الإسراء آية ٨٢

رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [1] وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [2] والآيات في ذلك كثيرة قال قتادة في قوله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [4] أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين. [5]

---

[1] سورة فصلت آية ٤٤

[2] سورة التوبة آية ١٢٤ ــ ١٢٥

[3] سورة الإسراء آية ٨٢

[4] سورة الإسراء آية ٨٢

[5] تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٨٣

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ فَقَامَ عَنْهُ إِلَّا بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١)

وعلاج القرآن المتعلق بالعنوسة هو اطمئنان قلب العانس وخلو صدرها من الآثار النفسية المترتبة على العنوسة التي رأينا بعضها ، والرضا بقضاء الله وقدره.

٢ ـ الأدعية الشرعية:

عن عَطَاءِ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ أَصْبِرُ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا. (٢)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : فيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير ، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية ، ولكن إنما ينجع بأمرين :

أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم. (٣)

---

(١) سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: في تعاهد القرآن، حديث رقم: ٣٢١٠ والآية: ٨٢ من سورة الإسراء

(٢) صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح، حديث رقم ٥٢٢٠

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١٠ ص ١٤٢

٣ـ شرب ماء زمزم:[١]

ماء زمزم شفاء لجميع الأمراض وسبب لنيل الأماني وتحقيق المراد، وتلبية الرغبات قال البخاري رحمه الله تعالى: بَاب مَا جَاءَ فِي زَمْزَمَ وَقَالَ عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّه أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِك كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا افْتَحْ قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ.[٢]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (باب ما جاء في زمزم) كأنه لم يثبت عنده في فضلها حديث على شرطه صريحا، وقد وقع في مسلم من حديث أبي ذر " إنها طعام طعم " زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه منه مسلم " وشفاء سقم " وفي المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا " ماء زمزم لما شرب له " رجاله موثقون ، إلا أنه اختلف في إرساله ووصله وإرساله أصح، وله شاهد من حديث جابر، وهو أشهر منه أخرجه الشافعي وابن ماجة ورجاله ثقات إلا عبد الله بن المؤمل المكي فذكر العقيلي أنه تفرد به ، لكن ورد من رواية غيره عند البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان ومن طريق

---

[١] قال الحافظ ابن حجر: سميت زمزم لكثرتها، يقال ماء زمزم أي كثير، وقيل لاجتماعها نقل عن ابن هشام، وقال أبو زيد: الزمزمة من الناس خمسون ونحوهم، وعن مجاهد: إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة والهزمة الغمز بالعقب في الأرض، أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح عنه، وقيل لحركتها قاله الحربي، وقيل لأنها زمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا. [فتح الباري (طبع دار الحديث) ج ٣ ص ٦٠٠]

[٢] صحيح البخاري، كتاب : الحج، باب: ما جاء في زمزم

حمزة الزيات كلاهما عن أبي الزبير بن سعيد عن جابر ، ووقع في " فوائد ابن المقري " من طريق سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبي الموالي عن ابن المنكدر عن جابر ، وزعم الدمياطي أنه على رسم الصحيح وهو كما قال من حيث الرجال إلا أن سويدا وإن أخرج له مسلم فإنه خلط وطعنوا فيه وقد شذ بإسناده، والمحفوظ عن ابن المبارك عن ابن المؤمل، وقد جمعت في ذلك جزءا، والله أعلم. [1]

وقَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُؤَمَّلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ. [2]

قال السندي: قوله (لما شرب له) قال السيوطي في حاشية الكتاب هذا الحديث مشهور على الألسنة كثير واختلف الحفاظ فيه فمنهم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم من ضعفه والمعتمد الأول وجار من قال إن حديث الباذنجان لما أكل له أصح منه فإن حديث الباذنجان موضوع كذب وفي الزوائد هذا إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن عباس وقال هذا حديث صحيح الإسناد قلت وقد ذكر العلماء إنهم جربوه فوجدوه كذلك. [3]

---

[1] فتح الباري (طبع دار الحديث) ج ٣ ص ٦٠٠

[2] سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، حديث رقم ٣٠٥٣/ مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله، حديث رقم: ١٤٣٢، وحديث رقم: ١٤٤٦٦

[3] حاشية السندي على سنن ابن ماجة ج ٣ ص ٤٩٠

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ماء زمزم من مكة فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُـــرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَتُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ [1] يَحْمِلُهُ.[2]

وقال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي الموال، حدثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر عـــن الـــنبي صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب له، وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه.[3]

قال الذهبي: قال الحافظ أبو حازم العبدوي: سمعت الحاكم يقول : ـــ وكان أهل من الحديث ـــ شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف.[4]

وقال ابن عساكر : إن الخطيب [5] ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثـــلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات آخذا بالحديث ماء زمزم لما شرب له.

فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها.

الثانية : أن يملي الحديث بجامع المنصور.

الثالثة : أن يدفن عند بشر الحافي.

---

[1] قال المباركفوري: قوله: (كان يحمله) فيه دليل على استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة. [تحفة الأحوذي ج ٤ ص ٣٢]

[2] سنن الترمذي، كتاب: الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في الحجر الأسود، حديث رقم: ٨٨٦

[3] سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٩٣

[4] تذكرة الحفاظ ج٣ص٢٢٧/ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابـــن جماعـــة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ١٣٦

[5] أي الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى

فقضى الله له ذلك.[١]

فعلى العانس أن تكثر الشرب من ماء زمزم ، وأن تتضلع منها [٢] وأن تدعو الله عز وجل أن ينهي عنوستها ويفك أيمونها ويرزقها زوجا تقر به عينها وعلى أهلها كذلك فعل ذلك.

وفي اعتقاد العرب أن جميع الأمراض لها علاج ودواء إلا داء الحماقة وقد صوروا ذلك في أشعارهم قال قيس بن الخطيم :

ودَاءُ الجِسْمِ مُلْتَمِسٌ شِفاءً وداء النُّوكِ ليسَ له دَواءُ[٣]

وهم يقولون ذلك ، لرأيهم أن تغير الطباع صعب يحتاج إلى جهد كبير، قال شاعرهم أيضا :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

والشفاء يكون حسيا ومعنويا، فالشفاء المعنوي يكون بردا في الصدر، وراحة في البال، واطمئنانا في النوم وملء الجفون منه ، وقرة في العين ، وهناء وسعادة قال الله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤]

وقال عنترة بن شداد واصفا رضاه عن إحدى معاركه :

---

[١] تذكرة السامع لابن جماعة ص ١٣٩

[٢] عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ. [سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب: الشرب من ماء زمزم، حديث رقم: ٣٠٥٢]

[٣] لسان العرب لابن منظور: مادة نوا

[٤] سورة التوبة آية ١٤

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويحك عنتر أقدم

وكل هذه الأدوية والعلاج ينفع على اتساع من الأجل وفسحة في الأمل، وأما إذا حم القضاء ودنا الأجل فلا طبيب ينفع ولا دواء ، قال الرشيد عند احتضاره :

إن الطبيب بطبه ودوائـــه لا يستطيع دفاع محـذور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يشفي مثله فيما مضى[1]

وقد أحسن من قال:

إن الطبيب لذو عقل ومعرفة ما دام في أجل الإنسان تأخير

حتى إذا انقضت أيام مدته حار الطبيب وخانته العقاقير

ومرضنا هذا مرض العنوسة أو: (مرض حامد في العرف السوداني) يدخل تحت النوع الأول وهو من أمراض القلوب في المقام الأول ، وفي أمراض الأبدان لما يترتب عليه من آثار على العانس ، في المقام الثاني.

وقصة حامد ومرضه كالآتي: كانت أسرة تتكون من أب وأم وولد وبنت ، وفي مرة من المرات مرض الولد وذهبوا به إلى الطبيب فقال الطبيب : زوجوا هذا الولد ، فزوجه أبواه فشفي وصلح حاله. وبعد مدة تمارضت البنت ، وطال تمارضها ، فدخلت بها أمها وقالت لها : مم تشكين يا بنيتي ؟ فقالت : عندي مرض حامد. أي أنها ترغب في الزواج.

---

[1] الأخبار الطوال،لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر ، مراجعة د. جمال الدين الشيال، منشورات الشريف الرضى، من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م ص ٣٩

ومرض العنوسة الذي عرفنا بعض أسبابه وذكرنا وأسهبنا في بعضها سبل علاجه يكون علاجه باتباع الأسباب التي طرحناها.

والله نسأل أن يشفي المبتلين والمبتلات بهذا المرض.